

التبيان في تفسير القرآن

(124) وقال آخر: فلا يدعني قومي صريحا لحره * لئن لم أعجل طعنه أو أعجل (1) فقدم جواب (لئن) في البيتين جميعا. وقال قوم: لو جاز هذا لجاز أن تقول: قام زيد لولاعمرو، وقصد زيد لولابكر، وقد بينا أن ذلك غير مستبعد، وأن القائل قد يقول: قد كنت قمت لولا كذا، وكذا، وقد كنت قصدتك لولا أن صدني فلان، وأن لم يقع قيام ولا قصد. على أن في الكلام شرطا، وهو قوله " لولا أن رأى برهان ربه " فكيف يحمل على الإطلاق. والبرهان الذي رآه، روي عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبیر، ومجاهد: أنه رأى صورة يعقوب عاضا على أنامله. وقال قتادة: أنه نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء. وروي في رواية أخرى عن ابن عباس: أنه رأى الملك. وهذا الذي ذكره كله غير صحيح، لأن ذلك يقتضي الإلجاء وزوال التكليف، ولو كان ذلك لما استحق يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحا ولا ثوابا، وذلك ينافي ما وصفه الله تعالى. من أنه صرف عنه السوء والفحشاء، وأنه من عبادنا المخلصين. ويحتمل أن يكون البرهان لطفًا لله تعالى له في تلك الحال أو قبلها، اختار عنده الامتناع من المعاصي، وهو الذي اقتضى كونه معصوما ويجوز أن تكون الرؤية بمعنى العلم، وقال قوم: البرهان هو ما دل الله تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل، وعلى أن من فعله استحق العقاب، لأن ذلك صارف عن الفعل ومقوي لدواعي الامتناع، وهذا أيضا جائز، وهو قول محمد بن كعب القرطبي واختيار الجبائي. _____ (1) مجمع البيان 3 / 225 وأمالى السيد المرتضى 1 / 480